الفتح الرباني

و

الفيض الرحماني

تأليف

سيدي عبد القادر الجيلاني

(٤٧٠ - ٥٦٠ هـ)

دار الريان للتراث

وهم يفرون منه ، يبارزونه بمعاصيه وزلاته أسماؤهم عندي مؤرخة مكتوبة معدودة .

اللهم تب عليّ وعليهم ، وهبنا كلنا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأبينا ابراهيم عليه السلام . اللهم لا تسلط بعضنا على بعض ، وانفع بعضنا ببعض ، وأدخلنا كلنا في رحمتك آمين .

المجلس الثاني عشر

وقال رضي الله تعالى عنه يوم الأحد بكرة بالرباط ثاني ذي العقدة سنة خمس وأربعين وخمسمائة :

(يا غلام) ما صحت إرادتك للحق عز وجل ولا أنت مريد له ، لأن كل من يدعي إرادة الحق جَلَّ وعلا ويطلب غيره فقد بطلت دعواه . مريدو الدنيا فيهم كثرة ، ومريدو الآخرة فيهم قلة ومريدو الحق عز وجل الصادقون في إرادته أقل من كل قليل هم في القلة والعدم كالكبريت الأحمر ، هم آحاد أفْرادفي الشذوذ والندور ، حتى يوجد منهم واحد ، هم نزاع العشائر ، هم معادن في الأرض ملوك فيها ، هم شحن البلاد والعباد ، بهم يدفع البلاء عن الخلق ، وبهم يمطرون وبهم يمطر الله السماء وبهم تنبت الأرض ، في بداية أمرهم ، يفرون من شاهق إلى شاهق ، من بلد إلى بلد ، من خراب إلى خراب ، كلما عرفوا في موضع تحولوا منه ، يرمون الكل وراء ظهورهم ، ويسلمون مفاتيح الدنيا إلى أهلها ، لا يزالون كذلك إلى أن تبنى القلاع حواليهم ، وتجري الأنهار إلى قلوبهم ، ويحاط بهم جنود من قبل الحق عز وجل ، كل منهم ينفرد إليه بالحراسة فيكرمون ويحفظون ، ويولون على الخلق ، كل هذا من وراء عفوهم ، فحينئذ يصير إقبالهم على الخلق فريضة ، يصيرون كالأطباء وبقية الخلق مرضى ، (ويحك) تدعى أنك منهم ما علامتهم عندك ؟ ما علامة قرب الحق عز وجل ولطفه ؟ في أي منزلة أنت عند الحق عز وجل وفي أي مقام ؟ ما اسمك وما لقبك في الملكوت الأعلى ؟ علام يغلق بابك كل ليلة ؟

طعامك وشرابك مباح هو حلال طلق ، تضاجع الدنيا أو الآخرة أو قرب الحق عز وجل . من أنيسك في الوحدة ؟ من جليسك في الخلوة ؟ يا كذاب أنيسك في الوحدة نفسك وشيطانك وهواك والتفكر في دنياك ، وفي الجلوة شياطين الإنس الذين هم أقران السوء وأصحاب القيل والقال ، هذا شيء لا يجيء بالهذيان ومجرد الدعوى كلامك في هذا هوس لا ينفعك . عليك بالسكون والخمول بين يدي الحق عز وجل وترك إساءة الأدب . إن كان ولا بد من الكلام في هذا فيكون كلامك فيه على سبيل التبرك به والتبرك بذكر أهله ، لا أنك تدعيه بظاهرك مع خلو قلبك منه ، كل ظاهر لا يوافقه الباطن فهو هذيان ، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ » .

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن ليس الصيام ترك الطعام والشراب والمفطرات فحسب . بل حتى يضاف إليه ترك الآثام . احذروا من الغيبة فإنها تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

ما تعودها من أفلح قط . ومن عرف بها قلت حرمته عند الناس . واحذروا من النظر بشهوة فإنه يزرع المعصية في قلوبكم ، وعاقبته غير محمودة في الدنيا والآخرة ، واحذروا من اليمين الكاذبة فإنها تترك الديار بلاقع ، تذهب بركة الأموال والأديان ، (ويحك) تنفق مالك باليمين الكاذبة وتخسر دينك لو كان لك عقل لعلمت أن هذه هي الخسارة بعينها تقول والله عز وجل ما في هذه البلدة مثل هذا المتاع ولا عند أحد مثله ، والله إنه يسوّى كذا وكذا ، وإنه عليّ بكذا وكذا ، وأنت كاذب في كل ما قلته ثم تشهد بالزور وتحلف بالله عز وجل إنك صادق ، عن قريب يجيئك العمى والزمن . تأدبوا رحمكم الله تعالى بين يدي الحق عز وجل ، من لم يتأدب بآداب الشرع أدبته النار يوم القيامة ؛ سأله سائل فقال : من فيه هذه الخمس خصال أو بعضهم تحكم ببطلان صومه ووضوئه ، فقال صومه ووضوئه لا يبطل ، ولكن هذا جاء على سبيل الوعظ والتحذير والتخوف .

المجلس الرابع عشر

وقال رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة بكرة بالمدرسة سابع ذي القعدة من سنة خمس وأربعين وخمسمائة :

يا منافق طهر الله عز وجل الأرض منك ، ما يكفيك نفاقك حتى تغتاب العلماء والأولياء والصالحين بأكل لحومهم ، أنت وإخوانك المنافقون مثلك عن قريب تأكل الديدان ألسنتكم ولحومكم وتقطعكم وتمزقكم ، والأرض تضمكم فتسحقكم وتقلبكم ، لا فلاح لمن لا يحسن ظنه بالله عز وجل وبعباده الصالحين ويتواضع لهم ، لم لا تتواضع لهم وهم الرؤساء والأمراء من أنت بالإضافة إليهم . الحق عز وجل قد سلم الحل والربط إليهم ، بهم تمطر السماء وتنبت الأرض ، كل الخلق رعيتهم ، كل واحد كالجبل لا تزعزعه ولا تحركه رياح الآفات والمصائب ، لا يتزعزعون من أمكنة توحيدهم ورضاهم عن مولاهم عز وجل ، طالبين لأنفسهم ولغيرهم ، توبوا إلى الله عز وجل واعتذروا إليه واعترفوا بذنوبكم بينكم وبينه وتضرعوا بين يديه ، إيش بين أيديكم ؟ لو عرفتم لكنتم على غير ما أنتم عليه ، تأدبوا بين يدي الحق عز وجل كما كان بتأديب من سبقكم ، أنتم مخانيث ونساء بالإضافة إليهم شجاعتكم عند ما تأمركم به نفوسكم وأهويتكم وطباعكم . الشجاعة في الدين تكون في قضاء حقوق الحق عز وجل ، لا تستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء ، فإن كلامهم دواء وكلماتهم ثمرة وحي الله عز وجل ، ليس بينكم نبي موجود بصورة حتى تتبعوه فإذا تبعتم المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم المحققين في اتباعه فكأنما قد اتبعتموه ، وإذا رأيتموهم فكأنكم قد رأيتموه . اصحبوا العلماء المتقين فإن صحبتكم لهم بركة عليكم ، ولا تصحبوا العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فإن صحبتكم لهم شؤم عليكم ، إذا صحبت من هو أكبر منك في التقوى والعلم كانت صحبتك له بركة عليك ، وإذا صحبت من هو أكبر منك في السن ولا تقوى له ولا علم له كانت صحبتك له شؤما عليك ، اعمل لله عز وجل ولا تعمل لغيره ، اترك له ولا تترك لغيره ، العمل لغيره كفر ،